يونس بن حبيب
وكتابه النوادر

بقلم الباحث

عبدالعزيز علي فرج آل شملان

باحث دكتوراه في اللغويات - قسم اللغة والنحو والصرف ـ كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثالث (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

يونس بن حبيب وكتابه النوادر

عبدالعزيز علي فرج آل شملان

قسم اللغة والنحو والصرف ـ كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : abuomar.sha@hotmail.com

الملخص

مثلت كتب النوادر مرحلة مهمة من مراحل الدرس اللغوي، حيث كانت من المصادر الأساسية التي استقى منها أصحاب المعاجم تراثهم اللغوي، بل كانت اللبنة الأولى في مرحلة جمع اللغة، ولتلك الأهمية التي صاحبت هذه الكتب، كان من المهم إلقاء الضوء على ذلك التصنيف البديع في التاريخ اللغوي، من خلال أحد الكتب المهمة، لتقدم صاحبها زمانًا ولمكانته اللغوية، آثرناه دون غيره، ولما لحق هذه الكتب من ضياع وفقدٍ لأغلبها، كان الوقوف عليها ذا أهمية قصوى، بالتعرف على مادتها ومضمونها، من خلال عدة محاور: أولاً: التأليف في كتب النوادر. ثانيًا: ماهية النوادر. ثالثًا: نبذة عن يونس بن حبيب وكتابه النوادر. رابعًا: مادة كتاب النوادر مجموعة من المعاجم وكتب اللغة، ثم خاتمة بها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية : يونس بن حبيب، النوادر، جمع اللغة .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٢٢٢٠

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Younis bin Habib and his book Al -Narar

Abdulaziz Ali Faraj Al Shamlan

Department of Language, Grammar and Drainage - College of Arabic Language - Umm Al -Qura University - Saudi Arabia.

Email: abuomar.sha@hotmail.com

Abstract

The books of the anecdotes represented an important stage of the linguistic lesson, as it was one of the basic sources from which the dictionaries drew their linguistic heritage, but the first building block was in the stage of collecting the language, and for that importance that accompanied these books, it was important to shed light on that wonderful classification in history Linguistic, through one of the important books, to present its owner a time and linguistic place, we have chosen it and not others, and when these books were lost from the loss and loss of most of them, standing on them was of utmost importance, by identifying their material and content, through several axes: First: authorship in the anecdotal books . Second: What are the anecdotes. Third: About Yunus bin Habib and his book Al - Nadir. Fourth: The Book of Narra, a group of dictionaries and language books, then concluded with the most important results.

Keywords: Yunus bin Habib, anecdotes, language collection.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فلا يزال البحث اللغوي متصلاً بالتراث القديم الذي ينبئ عن تلك الثروة العظيمة والتي لم تر النور، وهي في حاجة إلى البحث والاستقصاء، ومن بين ذلك الركام الكبير تأتي كتب النوادر لتمثل جانبًا مهمًا في البحث اللغوي، وفي هذا البحث نحاول إلقاء الضوء على هذه المرحلة من التأليف بالتعرف على الظروف التي صاحبت نشأته والمنهج الذي سار عليه أصحابها، محاولين الوقوف على المفهوم الدقيق للنوادر، ووضع الفروقات البينة بينه وبين أشباهه من مصطلحات أخرى، وبعد ذلك نقف على نموذج من هذه الكتب بالتعرف على صاحبه، ومادة ذلك الكتاب.

أهمية الموضوع:

١- تُعدُّ كتب النوادر مصدرًا من مصادر دراسة اللغة، فهي تعين على رصد اتجاهات الدراسات اللغوية على المستويات اللغوية كافة، والمساهمة في معرفة الكثير من لغات العرب، والظواهر اللغوية، وآراء العلماء فيها.

٢- كذلك تعد كتب النوادر مصدرًا هامًا من مصادر دراسة لهجات القبائل العربية لعنايتها بها وبخصائصها؛ إذ يوجد بها مادة خصبة لهذه الدراسة، حيث إن ما يرد من ألفاظ نادرة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات القبائل.

٣- كما أن كتب النوادر مصدر مهم في بناء المعجم التاريخي للغة العربية بملاحظة الألفاظ وتطورها على مر العصور وباختلاف الأماكن والمستعملين لها من القبائل المختلفة.

٤- تمثل الألفاظ في كتب النوادر مادة غزيرة للمعاجم اللغوية، فقد امتلأت المعاجم بأسماء مؤلفي كتب النوادر، ورواياتهم.

٥- كثرة التأليف في كتب النوادر، وكثرة النصوص المنقولة عنها في كتب اللغة، مما يدل على أهميتها، وقيمتها، وأثرها.

وسيكون البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه: تاريخ التأليف في كتب النوادر.

المبحث الأول: مفهوم النوادر.

المبحث الثاني: يونس بن حبيب وكتابه النوادر.

المبحث الثالث: مادة كتاب النوادر ليونس بن حبيب.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في الوصول إلى المراد ومحاولة رسم الصورة الصحيحة عن هذه المرحلة وما صاحبها من تأليف وتصنيف، والله من وراء القصد.

التمهيد: تاريخ التأليف اللغوي

لم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة، لأنهم وجهوا اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والإسلامية، وحين فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى. يقول السيوطي: إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني. وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو(١).

فجاءت هذه التآليف العربية مختلطة فيما بينها، لم يبرز فيه عامل التمييز لكل علم، ولعل سبب ذلك كما أسلفنا، انكباب العلماء على القرآن ينهلون منه ويفسرون ألفاظه، ولم يكن التأليف في كتب النوادر بمنأى عن التأليف في الدراسات العربية على وجه العموم ولا اللغوية على وجه الخصوص، إذ كانت السمة العامة لذلك الفن أن يتسم بصفة هي طبيعة المرحلة التي وجد فيها، إذ إن جوهر الدراسات العربية كان قائمًا على هدف واحد هو القرآن الكريم، والذي كان معجزة النبي محمد ﷺ وكان إعجازه في بلاغته، فقامت كل الدراسات حوله من تفسير وفقه وحديث ولغة ونحو وصرف وشعر، كلها تسعى حوله ولمراده، ولذلك لم يكن التفريق قائمًا بين تلك العلوم، بل تجد العالم يتحدث فيها جميعًا، فجاءت الدراسات العربية واللغوية مختلطة دون تفريق بين فن وآخر، فتجد العالم مفسرًا محدثًا فقيهًا لغويًا إلى غير ذلك.

---

(١) البحث اللغوية عند العرب لأحمد مختار عمر ٧٩.

ثم كانت بعد ذلك الدراسات اللغوية والتي اتسمت بالاختلاط دون تمييز بين علم وآخر، كل ذلك كان منشؤه قائمًا على أن هذه الدراسات كانت في بداية مراحلها، ولم تتسم بالنضج التأليفي، وأيضًا كانت تسعى لهدفها الأكبر هو دراسة القرآن الكريم، وبتغير الأزمنة ومع توسع الدولة الإسلامية، ودخول الكثير من الناس في الإسلام على اختلاف أجناسهم بدأ يدب في جسد العربية شيء من اللحن، قام بناء عليه رواة اللغة وعلماؤها بجمع اللغة كما بينا ذلك في الحديث عن الرواية اللغوية، فشافهوا الأعراب وأخذوا عنهم اللغة التي لا يشوبها اللحن، ثم اضطرهم الأمر إلى الخروج إلى البادية وقطع الفيافي للالتقاء بالأعراب وتدوين ما صح من اللغة، وكان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث، وثالثة في الرجل القصير، وهكذا، فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب(١)، ثم كان منهم من يهتم بجمع الألفاظ المتعلقة بموضوع واحد، فجاءت الرسائل ذات الموضوعات المحددة، في الإبل، أو الخيل، أو النبات، أو اللبن وغيرها.

وعلى أي حال فمن المنطقي أن يكون البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع للمادة اللغوية، أو ما يعرف بمتن اللغة، وأن يسبق ذلك الدرس النحوي، وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم ورد النظير إلى النظير، كل بطريقته الخاصة التي رآها. فمنهم من صنف المادة اللغوية بحسب الموضوعات، مثل النبات والشجر والإبل والخيل والسلال والأنواء، وأخرجها في شكل رسائل منفصلة. ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي أو الإسلامي يدونه ويرويه ويشرح مفرداته الصعبة. ومنهم

(١) ضحى الإسلام ٢٧٦.

من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل ...وهكذا. ثم توجت هذه الجهود بظهور المعاجم اللغوية المنظمة [١].

وتقتضي الدقة أن تقسم كتب التأليف المختلط على قسمين، يدخل في القسم الأول الكتب التي اختلطت فيها الدراسات اللغوية عمومًا فقهًا ونحوًا وصرفًا بغيرها من الموضوعات الدينية والكلامية والأدبية وما إلى ذلك، وخير ما يمثل هذا القسم كتب معاني القرآن ومجازه وتأويله. أما القسم الثاني فيدخل فيه الكتب التي اختلطت فيها موضوعات اللغة، ففيها الغريب واللغات والحيوان والنبات والمعرب والمترادف والأضداد وما إلى ذلك مما يدخل في إطار أضيق من إطار القسم الأول، وذلك أنها لم تخرج عن مجال فقه اللغة وموضوعاته كثيرًا، وخير ما يمثل هذا القسم كتب النوادر والأمالي[٢].

إذن فهذه النوادر تمثل لغة البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها، وعباراتها، وأمثالها، وأساليبها تمثيلاً جيدًا. وهي في مجموعها أثبت وأسع نص لغوي وصل إلينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث من الهجرة، وهي بذلك تعد مثالاً جيدًا للخطة البدائية التي اتبعها الرواة والعلماء في بادئ الأمر لجمع اللغة وتدوينها[٣].

وعلى هذا فإن بداية التأليف في نوادر اللغة وغرائبها كان في أواسط القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت نفسه الذي نهض فيه رواة اللغة

---

(١) البحث اللغوية عند العرب لأحمد مختار عمر ٨١.
(٢) الدراسات اللغوية عند العرب آل ياسين ١٠٢.
(٣) أبوزيد وأثره في اللغة لإبراهيم يوسف السيد ١٥٩.

وعلماؤها لتدوين اللغة العربية، ونشطوا لجمعها في الكتب، وعلى هذا يمكن أن يعد تدوين النوادر وتأليف الكتب فيها جزءًا من الحركة الواسعة الخصبة التي شملت تدوين اللغة في هذا الدور(١).

وقد سار التأليف في النوادر في إطار المراحل الثلاث لجمع اللغة، بل يمكن لنا القول بأنه يمثل المرحلة الأولى من التدوين حيث إن مرحلة الجمع الأولى: كانت هي مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب، وقد جرى هذا الجمع بفضل نشاط الرواة والعلماء في القرن الهجري الثاني. وكما ذكرنا كان السماع عن الأعراب والاتصال المباشر بهم في صحرائهم أو حين قدومهم إلى الأمصار أحد المصادر الأساسية التي اعتمدها الرواة في جمع اللغة. ولعل كتب النوادر في اللغة خير ما يمثل هذه المرحلة، ففيها إيراد للألفاظ والمفردات والمقطعات الشعرية دون نظام محدد، أو منهج مستمر، فمثلت بذلك مرحلة من مراحل الجمع، تلتها بعد ذلك مرحلة ثانية هي: التدوين للألفاظ مرتبة في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف، فمنها على سبيل المثال لأبي زيد كتاب المطر، وكتاب اللبأ، ولمعاصره الأصمعي كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب الشاء، وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر، ومن هذا النوع أيضًا كتاب الرحل والمنزل المنسوب لابن قتيبة. ثم جاءت بعد ذلك مرحلة النضج والاكتمال وهي: وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة، على اختلاف مذاهبها في الترتيب(٢).

---

(١) مقدمة كتاب النوادر لأبي مسحل، تحقيق: عزة حسن، ٢٤.

(٢) حركة التأليف عند العرب، لأمجد الطرابلسي، ١١-٢١.

ولعله من الطبيعي أن يكون لذلك التأليف عوامل ساعدت على وجوده، بل وهيَّأت لولادته، إلا أنه لا يمكن الوقوف على شيء محدد يمكن أن يمثل سببًا خاصًا لوجود التأليف في النوادر، ذلك أن هذا الأمر قد يكون صعبًا، وإنما الطبيعي والذي يجري على سنن التأريخ هو أن هناك عوامل تزامنت وأثرت وكانت بمجملها معينة على وجود هذا النوع من التآليف، ويمكن أن تجعل في نوعين: الأول منها عام ساعد على نشأة التأليف اللغوي، والنوادر ضمن هذا الإطار، والثاني: خاص ساعد على وجود كتب النوادر.

فالأول: أن حركة التأليف قد شهدت نهضة كبيرة منذ أواخر القرن الثاني، والأمر الذي ساعد على ذلك هو معرفة العرب صناعة الورق نقلاً عن الصينيين في أثناء الفتوح الإسلامية، بعد أن كانت وسائل الكتابة قبل الإسلام وبعد ظهوره بقليل صعبة ومحدودة ولا تسمح بانتشار العلم والمعرفة وثقافة ذلك العصر مدوّنًا إلا في قدر محدود، وقد أدى ذلك الكشف أو على الأصح معرفة العرب بالورق إلى ازدياد حركة التأليف والترجمة والتدوين لما يسرته هذه المادة كمًّا وكيفًا، كما لقيت تلك الحركة تشجيعًا بالغًا من الخلفاء والولاة، بل إن بعضهم قد بالغ في اقتناء الكتب والمكافأة على التأليف أو الترجمة[1]. هذه الفترة الزمنية التي عاشها هؤلاء الرواة فترة السمو الفكري، والتفجر العقلي، نتيجة هضم الثقافة الإسلامية والعمل على تفريع علومها، فضلاً عن التقائها مع حضارات وإمكانيات الأمم التي اعتنقت الإسلام وأخلصت له عقيدة وولاء، ومن ثم التفتت إلى اللغة العربية – لغة القرآن الكريم– فتوفرت على خدمتها والإبداع في نطاق موضوعاتها.

(١) المدخل إلى مصادر اللغة العربية، لسعيد بحيري، ١٤.

ثم إن إخلاص العلماء للعلم دون غيره كان عاملاً مهمًا في ذلك، فلم يشتغل أحدهم بالسياسة ولا استهداف رئاسة ولا سعى إلى زعامة، ولا تقرب إلى العامة يمالئهم ويتقرب إليهم إلا بالقدر الذي يمكنه من رفع شأنهم وتقريب العلم إليهم. ومن ثم فقد كان القوم ناسكين في محراب العلم جعلوا منه صناعة، وعبادة، وحياة، ودنيا، وآخرة، وما حباهم بهم السلطان وهيأ لهم من الأجواء التي أعانتهم على التفرغ للعلم والانقطاع إليه.

ثم إن جوهر العقول وترابط المجتمع ثقافيًا، والمثل الخلقية في إتقان العمل، والقيم الإنسانية في احترام عقل الإنسان، ورحيق الحضارة الإسلامية وقوة دفعها ونضارة وجهها وصفاء جوهرها وسماحة عنصرها، كل ذلك كان سندًا للعلماء كي يتفرغوا للعلم ليبزغ ويشيع ويضيء(١).

أما عن النوع الثاني من العوامل وهي الخاصة والتي ساهمت بشكل أو بآخر في وجود هذا النوع من التآليف، فإنه قلما نجد عالمًا من أعلام اللغة ورواتها في تلك الحقبة لم يضع كتابًا في النوادر، أو يجعل منها بابًا في أحد مصنفاته اللغوية، ويعود السبب في ذلك إلى تعدد العلماء الذين قاموا بمهمة رواية اللغة، واستمرار رحلتهم إلى البادية للأخذ عن الأعراب الفصحاء حتى ذلك الوقت، ووفرة ما جمعوه من فصيح اللغة وغريبها ونادرها، فكل عالم أثناء جمعه للغة سمع أشياء نادرة وغريبة فدونها في كتابه، وبجانبه عالم آخر سمع أشياء أخرى فدونها في كتابه، وربما اتفقت مصادر الأخذ للعلماء خاصة إذا أخذوا من قبائل واحدة، وهذا ما يفسر لنا تشابه المادة التي وردت في كتب النوادر، كل ذلك كان من أكبر العوامل على وفرة التأليف في هذا

(١) مناهج التأليف عند العلماء العرب، ١٠٢-١٠٤.

الصنف من الكتب، كما أن التنافس بين العلماء في تحقيق ما لمسوه من رغبة الناس في سماع الروايات الشاذة، والأخبار الطريفة، سواء أكانت تلك الروايات والأخبار في موضوع اللغة أم الأدب أم الأخبار أم الأنساب، كانت كفيلة بوفرة كتب النوادر في تلك المرحلة، التي كانت فيها نار التنافس مشتعلة بين فريقي المدرستين، خاصة بعد أن انتقل الرواة إلى بغداد، وبعد أن اتصل فيها العلماء بالخلفاء والولاة، ووجدوا في مجالسهم من الاستمتاع بالنوادر والطرائف، ومن الثناء والعطايا السخية، ما شجعهم على مثل هذه الرواية، يقول أبو الطيب اللغوي: «فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم إلى بغداد قريبًا، وغلب أهل الكوفة على بغداد، وحدثوا الملوك فقدموهم، ورغب الناس في الروايات الشاذة، وتفاخروا بالنوادر، وتباهوا بالترخيصات».

وأيضًا قد يكون العلماء والرواة الذين ألفوا في النوادر وجدوا في موضوعاتها ما تستهويه أنفسهم، وتتقبله أسماع الدارسين من رواد المجالس والحلقات العلمية، فعرضوا لها حفظًا وتأليفًا، لتعزيز مكانتهم من الرواية، وتأصيل مروياتهم، وإظهار مقدرتهم على رواية ما لم يجده أو يسمعه الآخرون منهم، من نصوص اللغة النادرة وغرائب ألفاظها.

ومما يحصل في هذا الجانب أن يكتفي التلاميذ بحفظ ما سمعوه من نوادر شيوخهم أو روايته منسوبًا إليهم أو غير منسوب، أو أن يلجأ بعضهم إلى جمعه وتدوينه في مصنف خاص يحمل اسم النوادر، على غرار ما فعله الشيوخ، فتكثر الكتب، وتتعدد الرواية في أكثر من كتاب[١].

---

(١) النوادر في اللغة، لمحيي الدين توفيق إبراهيم، مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٤، ص ١٢١-١٢٢.

كما أنه من الأمور التي ساعدت على وجود هذا النوع من التأليف هو اهتمام العلماء في معرفة ما غمض عليهم من ألفاظ القرآن إذ كان أول البحث منوطًا بتفسير هذا الغريب الذي وقع في بعض ألفاظ القرآن، فجاء الاهتمام بالغريب والنادر من هذا الباب ثم تتالى التأليف بعد ذلك. ولما كان الخفاء اللغوي يمتد إلى غير ما وقع في القرآن الكريم والحديث من ابتعاد الناس عن المصادر اللغوية الأصلية لمعرفة اللغة فكانت بعض الألفاظ تخفى على السامعين والناطقين من العرب أنفسهم بعد أن زاد اختلاطهم بغير العرب، وجدنا علماء اللغة يجمعون ألفاظها من العرب الخلص ويشرحون ما غمض منها بما يعرف لدى العرب، وقد حاول بعض العلماء أن يوضح غريب اللهجات التي قد تُعرف في منطقة ولا تعرف في الأخرى(١).

والكثرة الغالبة لهذه الكتب ظهرت حتى أواسط القرن الثالث من الهجرة؛ لأنه حتى ذلك الوقت كانت رحلة العلماء إلى البادية لجمع اللغة وغريبها لا تزال مستمرة. ولا نكاد نجد عالماً من علماء اللغة ورواتها الذين عاشوا في هذا الدور إلا وله كتاب أو أكثر في النوادر(٢)، بداية بأبي عمرو بن العلاء مرورًا بالكثير من العلماء كأبي اليقظان، والخليل، والقاسم بن معن، والرؤاسي، والكسائي، وأبي زياد الكلابي، والأموي، وأبي مالك، وأبي زيد الأنصاري، وابن الأعرابي، والكثير من اللغويين.

والجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من هذه الكتب هي في عداد المفقودات، بل لم تصل إلينا، وإن كان وصل منها القلة القليلة كنوادر أبي مسحل، ونوادر أبي زيد، ونوادر الهجري، ونوادر القالي، كما وقفنا على الكثير من المواد اللغوية لهذه الكتب مبثوثة في المعاجم وكتب اللغة.

---

(١) مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ١١٢.

(٢) مقدمة محقق النوادر في اللغة لأبي زيد، محمد عبدالقادر، ٤٤-٤٥.

المبحث الأول: مفهوم النوادر

ساد هذا المصطلح نوعًا من الغموض لما لابسه من تشابه مع عدة مصطلحات كالشارد، والشاذ، والقليل، ومخالف القياس، كل هذه المصطلحات تأخذ طرفًا من مصطلح النادر، ولذلك نحاول الوقوف على ما يمكن أن يباين الفرق بين هذه المصطلحات.

التفسير اللغوي:

يقول ابن دريد: نَدَرَ يَنْدُرُ نَدْرًا فهو نادرٌ، وهو كل شيء زال عن مكانه، ومنه قيل: ضربه على رأسه فندرت عينه، أي: خرجت من موضعها. وبه سمي نوادر الكلام؛ لأنه كلام ندر فظهر من بين الكلام(١).

ندر الشيء يندر ندورًا: سقط من جوف شيء أو من بين أشياء فظهر، ومنه نوادر الكلام لما شذ منه لظهوره(٢).

ندر: ندر الشيء يندر ندورا: سقط، وقيل: سقط وشذ، وقيل: سقط من خوف شيء أو من بين شيء أو سقط من جوف شيء أو من أشياء فظهر. ونوادر الكلام تندر، وهي ما شذ وخرج من الجمهور، وذلك لظهوره(٣).

وكل شيء فارق نظيره وتحيز عنه بجهة ينفرد بها، فقد ندر عنه. ومنه قيل: ندرت النواة من تحت الحجر: إذا طارت، ففارقت أخواتها(٤).

---

(١) جمهرة اللغة ٢/٦٤١.
(٢) المخصص ٤/٣٩.
(٣) لسان العرب ٥/١٩٩.
(٤) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ٢/١١١.

ومما سبق يمكن تلمس القواسم المشتركة للتفسير اللغوي فيما يلي:

– مفارقة المكان، وهي مأخوذة من قولهم: ضربه على رأسه فندرت عينه، أي فارقت موضعها.

– الارتباط بمفهوم البروز والظهور وذلك واضح في قولهم: خرج الجمهور لظهوره، فجعلوا الندرة بسبب الظهور عن باقي الكلام.

– السقوط وهي بمعنى التنحي عن الأشياء الأخرى ومفارقتها.

ونقف على نص لابن هشام يضع فيه معيارًا للتفرقة بين المصطلحات التي يحكم بها على القوانين المعيارية، والتي قد تكون بعيدة نوعًا من الحكم اللغوي، ففرق بين الحكم بالندرة معياريًا وبين الحكم لغويًا وهذا ما سنقف عليه بعد نص ابن هشام، حيث يقول: اعلم أنهم يستعملون غالبًا وكثيرًا ونادرًا وقليلاً ومطَّرداً، فالمطَّرد لا يتخلَّف، والغالبُ أكثر الأشياء ولكنه يتخلَّف، والكثير دونه، والقليل دون الكثير، والنادر أقل من القليل، فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبُها، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فعلم بهذا مراتبُ ما يُقالُ فيه ذلك[١].

وما أورده يصح أن يطلق على القاعدة النحوية ومدى اطراد شواهدها من عدمه، لأنه ربما نجد الحرف يندر من كلام العرب ويخرج عن القياس، وهو مع ذلك أكثر استعمالاً مع تركهم للمقيس [٢].

كما أن الغربة والندرة في اللفظ ربما تحمل على غموض المعنى، وعدم فهمه، أو أن يكون ذلك اللفظ هو استعمال من بعُدت به الدار من شواذ

(١) المزهر ١/٢٣٤.

(٢) إسفار الفصيح ٢/٨٤٢-٨٤٣.

القبائل، فتُستَغرب رغم فصاحتها؛ لبعد قائليها عن المواطن المعتاد الأخذ عنها(١).

يقول ابن دَرَسْتَويه: وقد يلهج العربُ الفصحاء بالكلمة الشاذة عن القياس البعيدة من الصواب حتى لا يتكلموا بغيرها، ويَدَعوا المُنْقاس المطَّرِد المختار، ثم لا يَجِبُ لذلك أن يُقالَ: هذا أفصحُ من المتروك، من ذلك قول عامة العرب: إيش صنعت، يريدون أي شيء؟ ولا بشانيك، يعنون: لا أبَ لشانيك(٢).

ويضيف قائلاً: وليس كُلُّ ما ترك الفصحاءُ استعمالَه بخطأ، فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم بفصيحٍ آخر أو لعلَّة غير ذلك(٣).

إلا أن التشابه السائد بين الشاذ والنادر وجعلهما بمعنى واحد، قد يكون من الخطأ، ذلك أن الشذوذ في الشيء يعني خروجه عن القانون والقاعدة والمعيار الذي وضع بعد استقراء، فهو شذوذ معياري، أما النادر فليس بخروج عن شيء، بل هو استعمال لبيئة لغوية، تجاوزها الاستقراء، أو استثناها، فهو صحيح فصيح، وربما يكون قليل الاستعمال وقد يكون كثيرًا، ولذلك تجد ألفاظًا مخالفة للقياس رغم اطرادها وكثرة استعمالها.

وبهذا نخلص إلا أن النادر قد يطلق على ما قل استعماله، وقد يطلق على ما خالف القياس، مع أنه لا يخلو من كونه فصيحًا، مع الجزم بنسبية تلك الندرة في الألفاظ بالنظر إلى ظروف معينة للغة المعنية، سواء كانت

---

(١) غريب الحديث للخطابي ١/٧١.
(٢) تصحيح الفصيح ٣٦.
(٣) تصحيح الفصيح ٥٥.

اجتماعية أو تاريخية، أو بالنسبة إلى النموذج المقيس عليه، أو إلى مستوى النموذج سواء كان من اللغة الأدبية أو غيرها.

ومما يجب الانتباه له في هذه المسألة هو تباين وجهات النظر لدى علماء اللغة تجاه الفصيح، متخذين منهجًا متباينًا في ذلك من توسيع دائرة الأخذ وتضييقها، نجد ذلك واضحًا عند الأصمعي وأبي زيد، فالأصمعي يأخذ بأفصح اللغات ويلغي ما سواها، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحدًا فيجيز كل شيء قيل وسمع عن العرب، وبهذا التباين يصعب الجزم في تحديد معيار واضح الحدود للندرة من عدمها[١].

(١) المزهر ١/٢٣٣.

المبحث الثاني: يونس بن حبيب وكتاب النوادر

نبذة عن يونس بن حبيب:

هو أبو عبدالرحمن يونس بن حبيب الضبي النحوي، وهو مولى ضبة، وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة، وهو من أهل جبّل، ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة، وكان يقول: أذكر موت الحجاج، وقيل مولده سنة ثمانين وأنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين، وقيل عاش ثمانيًا وتسعين سنة، أخذ عن أبي عمرو وحماد بن سلمة، ويقال: أخذ عن عيسى بن عمر وأبي الخطاب الأخفش.

إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات، كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب، وقد كان بارعًا في النحو، وقد سمع من العرب، ، وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه في كتابه، وأخذ عنه أيضًا أبو الحسن الكسائي، وأبو زكريا الفراء، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وخلف الأحمر، وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة.

وكان يقال له: يونس النحوي.

قال ابن سلام: ما كنت أنا ولا أمثالي نسأل أبا عمرو بن العلاء عن شيء، إنما كان يسأله يونس، ونسمع.

قال أبو الخطاب زياد بن يحيى: مثل يونس كمثل كُوزٍ ضيّق الرأس، لا يدخله شيء إلا بعُسر، فإذا دخله لم يخرُج منه – يعني لا ينْسَى.

وأثنوا عليه بحرصه الشديد على نشر العلم، فيقول ابن سلام عن أبي زيد: ما رأيت أبذل لعلم من يونس.

وقال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة، أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه.

وقال أبو زيد النحوي: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة(١).

ولم يقتصر علمه على النحو فقط، بل كان عالمًا بالشعر، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفًا بطبقات شعراء العرب، حافظًا لأشعارهم، يرجع إليه في ذلك كله.

حدث محمد بن سلام قال: سألت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال: لا أومىء إلى رجل بعينه، ولكني أقول امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

والحديث يطول في سيرة هذه الإمام الجهبذ، ونكتفي بهذه الإشارات المهمة في سيرته.

(١) ينظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين ٥١، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي ١٢٠، ومعجم الأدباء ٦/٢٨٥٠، وإنباه الرواة ٤/ ٧٤، ووفيات الأعيان ٧/٢٤٤.

كتاب النوادر:

جاء ذكر كتابه النوادر في الفهرست[١]، وفي معجم الأدباء[٢]، وفي إنباه الرواة[٣]، وفي وفيات الأعيان[٤]، وفي الوافي بالوفيات[٥].

وقد نُسب إليه كتابان في النوادر كبير وصغير، جاء ذلك عند ابن النديم في الفهرست، والقفطي في الإنباه، أما ابن خلكان والصفدي فنسبا إليه كتاب النوادر الصغير، فيما نسب إليه الحموي كتاب النوادر مطلقًا.

وأورد السيوطي نصًا يصف فيه كتاب النوادر ليونس والطريق التي وصل بها، فقال: "وفي النوادر ليونس رواية محمد بن سلام الجمحي عنه – وهذا الكتاب لم أقف عليه إلا أني وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين ابن مكتوم النحوي وقال: إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود"[٦].

في هذه النص نستطيع الوقوف على ثلاثة أمور مهمة، وهي كالتالي:

أولاً: نسبة كتاب النوادر ليونس بن حبيب.

ثانيًا: وجود أكثر من رواية للكتاب؛ لأنه خص بالذكر رواية محمد بن سلام الجمحي.

ثالثًا: وجود مختصر ومنتقى للكتاب، لابن مكتوم.

---

(١) الفهرست ١١٣.
(٢) معجم الأدباء ٢٨٥٢/٦.
(٣) الإنباه ٧٧/٤.
(٤) وفيات الأعيان ٧/ ٢٤٥.
(٥) الوافي بالوفيات ١٧٧/٢٩.
(٦) المزهر ٢٨٩/٢.

المبحث الثالث: مادة كتابه النوادر

ننقل ما وقفنا عليه من مادة لكتاب النوادر ليونس بن حبيب، ونكتفي من ذلك ما ورد النص عليه بأنه من كتابه النوادر، أما ما لم يرد فيه النص فنتجاوزه لكثرة مؤلفاته والتي لا يمكن التحقق من أيها كانت هذه المادة لعدم ورود النص بذلك.

١- حكى يونس بن حبيب في نوادره أن الإِوزَّ لغة أهل الحجاز، وأن الوزَّ لغة بني تميم(١).

٢- حكى يونس في نوادره: أن الجُبُن الذي يؤكل، يثقَّل ويخفف، ويُسكَّن ثانيه(٢).

٣- حكى يونس في نوادره أن الفِلكة بالكسر لغة أهل الحجاز(٣).

٤- قال يونس في نوادره يقول ناسٌ من العرب: قد ذَأَى العشب يَذْأَى، فيهمزون، وبعضهم ذَوَى يَذوِي وهو الكثير(٤).

٥- وقوله: " ونَفَرَ يَنْفِرُ"..... وأمَّا مستقبله ففيه لغتان: يَنْفِرُ، ويَنْفُرُ، بالكسر والضم، حكاهما يونس في نوادره، وأبو عبيد في المصنف، والجوهري في الصحاح، وغيرهم(٥).

---

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ١٧٦/٢.
(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ١٨٨/٢.
(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٠٠/٢، وشرح الفصيح لابن هشام اللخمي ١٢٦.
(٤) تحفة المجد الصريح للبلي ٢٢.
(٥) تحفة المجد الصريح ٥٤.

٦- قال يونس في نوادره: أهل الحجاز يقولون: شَتَمَهُ مَشْتَمَةً قبيحةً بالفتح، وبنو تميم يقولون: مَشْتِمةٌ بالكسر(١).

٧- قال أبو جعفر: وقال الجوهري: وربما قالوا: مِسْتُ الشيء، يحذفون منه السين الأولى ويحوّلون كسرتها إلى الميم، ومنهم من لا يحوّل ويترك الميم على حالها مفتوحة...

قال أبو جعفر: فإذا أردت المستقبل من قولهم ظَلِلْتُ، ومَسِسْتُ، رددته إلى الأصل؛ لأنَّ المستقبل قاعدة التصريف، وعليه مدار الأفعال، فلا يُخَلُّ بالقواعد. فنقول في الأمر منه: امْسَسْ على الأصل، وإن شئت قلت: مَسِّ، ومَسَّ. قال: وأمْسَسْتُهُ الشيء فَمَسَّهُ.

قال أبو جعفر: وحكاه أيضًا يونسُ في نوادره، فقال يقال: ما مَسِسْتُهُ، ومَسِسْتُهُ(٢).

٨- قال أبو جعفر: ويقال في الماضي: نَكَلَ بالفتح كما حكاه ثعلبً. وقال يعقوب في إصلاحه عن الأصمعي لا يقال: نَكِلْتُ بالكسر. قال أبو جعفر: قد حكى فيه الكسر جماعة من اللغويين، قال صاحب الواعي يقال: نَكَلْتُ بالفتح، ونَكِلْتُ بالكسر، قال: والكسر لغة تميمية.

وحكاها أيضًا ابن القطّاع في أفعاله، ويعقوب في كتابه فَعَلْتَ وأفْعَلْتُ، وثابت في لحنه، ويونس في نوادره(٣).

---

(١) تحفة المجد الصريح ٥٧.
(٢) تحفة المجد الصريح ١٥٢-١٥٣.
(٣) تحفة المجد الصريح ١٠٣-١٠٤.

٩- قال الشيخ أبو جعفر: ويقال في الماضي: رَضِعَ يرْضَعُ، ورَضَعَ يَرْضِعُ، بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل. وبالفتح في الماضي والكسر في المستقبل، ... وحكى اللغتين أيضًا يونس في نوادره(١).

١٠- قال أبو جعفر: ويقال فيه: وَتِدٌ ووَتَدٌ، بالكسر والفتح، حكاها يعقوب في الإصلاح عن أبي عبيدة، قال: وأهل نجد يقولون: وَدٌّ. وحكى أيضًا هذه اللغات يونس في نوادره(٢).

١١- قال ابن درستويه: وإنما ذكره ثعلب لأن العامة تقول: قد أَوْتَدَ، بالألف وتفتح التاء من الوَتِد، وهو خطأ.

قال أبو جعفر: ليس بخطأ، حكى يونس في نوادره، ويعقوب في فعل وأفعل، وأبو إسحاق الزجاج، وأبو علي البغدادي في فعلت وأفعلت، وأبو عبيدة عن يونس في فعلت وأفعلت، وابن القوطيّة، وابن القطّاع أنه يقال: أَوْتَدْتُ الوتِدَ، بالألف(٣).

١٢- حكى يونس في نوادره عن أبي زيد أنه يقال: لَعُمْرِي بضمِّ العين(٤).

١٣- ومما جاء على الإتباع (أي: إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه، ففيه وجهان الإتباع والنصب، ويعرب الثاني بدلاً) ما أنشده يونس في نوادره من قول الشاعر:

---

(١) تحفة المجد الصريح ٢٠٦.
(٢) تحفة المجد الصريح ٢٩٥.
(٣) تحفة المجد الصريح ٢٩٦.
(٤) تحفة المجد الصريح ٣٩٩.

رأت إخوتي بعد الولاء تتابعوا فلم يَبْقَ إلاَّ واحدٌ منهم شَفْرُ[١]

١٤- وقال يونس في نوادره: قال أبو عَمْرو بن العلاء: لا يكون الشُّوَاظ إلا من النار والنحاس جميعًا[٢].

١٥- وفي نوادر يونس: فاكِهٌ من الفاكهة، مثل لابِنٌ وتامِرٌ[٣].

١٦- ذكْرُ ألفاظٍ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم. قال يونس في نوادره:

أهل الحجاز يقولون خمس عشْرة خفيفة لا يحرِّكون الشين، وتميم تثقِّل وتكسر الشين؛ ومنهم من يفتحها.

أهل الحجاز يبطِش، وتميم يبطُش.

تميم هَيْهات، وأهل الحجاز أَيهات.

أهل الحجاز مِرْية، وتميم مُرْية.

أهل الحجاز الحصاد، وتميم الحصاد. (الكسر للحجاز، والفتح لتميم)

أهل الحجاز الحِجّ، وتميم الحَجّ.

أهل الحجاز تخذت ووخذت، وتميم اتخذت.

أهل الحجاز رِضوان، وتميم رُضوان.

أهل الحجاز سلْ ربّك، وتميم اسأل.

---

(١) المقاصد الشافية للشاطبي ٣/٣٦٩-٣٧٠.
(٢) المزهر ١/٤٥٣.
(٣) المزهر ٢/٢٧٥.

أهل الحجاز على زَعْمِه، وتميم على زعمه.

أهل الحجاز جُونة بلا همز، وتميم جُؤْنة بالهمز.

أهل الحجاز قلَنْسُية، وتميم قلَنْسُوة.

أهل الحجاز هو الذي ينقُد الدراهم، وتميم ينتقد.

أهل الحجاز القِير، وتميم القار.

أهل الحجاز زهد، وتميم زهد.

أهل الحجاز طنفسة، وتميم طنفسة.

أهل الحجاز القِنْية، وتميم القُنْوة.

أهل الحجاز الكراهة، وتميم الكَرَاهِيَة.

أهل الحجاز ليلة ضَحْيانة، وتميم ليلة إِضْحِيانة.

أهل الحجاز ما رأيته منذ يومين ومنذ يومان، وتميم مذ يومين ومذ يومان؛ فيتفق أهل الحجاز وتميم على الإعراب ويختلفون في مذ ومنذ فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون.

أهل الحجاز مزرعة، ومقبرة، ومشرعة، وتميم مزرعة، ومقبرة، ومشرعة.

أهل الحجاز شَتَمَه مَشْتَمَةً، وتميم مَشْتِمَةً.

أهل الحجاز لاتَه عن وجهه يَليته، تميم ألاته يُليته.

أهل الحجاز ليست له همة إلا الباطل، وتميم ليس له همة إلا الباطل.

أهل الحجاز حقد يحقد، وتميم حقد يحقد.

أهل الحجاز الدفّ وتميم الدفّ.

أهل الحجاز قد عرِض لفلان شيء تقديره علِم، وتميم عرَض له شيء تقديره ضرَب[١].

١٧- وفي النوادر ليونس رواية محمد بن سلام الجمحي عنه - وهذا الكتاب لم أقف عليه إلا أني وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين ابن مكتوم النحوي وقال: إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود- قال يونس: في قوله تعالى: سمحوَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗاسجى: الذي أختار المَرْفِق في الأمر، والمِرْفَق في اليد.

وقال في قوله تعالى: ((فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ)). قال أبو عمر بن العلاء: الرُّهن والرِّهان عربيتان، والرُّهن في الرَّهْن أكثر، والرِّهان في الخيل أكثر[٢].

١٨- وقال اللَّبْلِيّ في شرح الفصيح: وزاد يعقوب في الإصلاح وقال: قومٌ يقولون: أَخْذَهم، يفتحون الألف وينصبون الذال، وحكى هذا أيضًا يونس في نوادره فقال: أهل الحجاز يقولون: ما أَخَذَ إِخْذَهم، وتميم: أَخْذَهم، أي: من سَارَ سَيْرَهم، ومن قال: ومن أَخَذَ إِخْذُهم، أي: ومَنْ أَخَذَه إِخْذُهم، وسِيرَتَهُم وتَخَلَّقَ بخَلائِقِهِم[٣].

١٩- وقال الفراء: الذِّكْر: ما ذَكَرْتَه بلسانك وأظْهَرْته. والذُّكْر بالقلب. يقال: ما زال مِنِّي على ذُكْرٍ، أي لم أَنْسَه. واقتصر ثعلب في الفصيح على

(١) المزهر ٢/٢٧٥-٢٧٦.
(٢) المزهر ٢/٢٨٩.
(٣) تاج العروس ٩/٣٦٨-٣٦٩.

الضّم. وروى بعض شُرَّاحه الفتح أيضًا، وهو غريب. قال شارحُه أبو جعفر اللَّبْلِيّ: يقال: أنت مِنِّي على ذُكْرٍ، بالضَّمِّ، أي على بَالٍ، عن ابن السَّيد في مُثَلَّثِه. قال: وربما كسروا أوَّله. قال الأخطل:

وكُنْتُمْ إذا تَنْأَوْنَ عَنَّا تَعَرَّضَتْ خَيَالاَتُكُمْ أَوْ بِتُّ مِنكمْ على ذِكْرِ

قال أبو جعفر: وحكى اللغتين أيضًا يعقوب في الإصلاح، عن أبي عبيدة. وكذلك حكاهما يونس في نوادره(١).

بهذه النصوص التي وجدت مبثوثة في كتب اللغة والمعاجم، نستطيع رسم صورة عن شيء من كتاب النوادر ليونس بن حبيب من خلال العناصر التالية:

١- الاهتمام الكبير باللهجات العربية، فهي الأساس الذي قامت عليه كثير من الدراسات اللغوية.

٢- بيان الفروقات والاختلافات بين أكبر لهجتين مثلت الدرس اللغوي، وهما لغة أهل الحجاز وتميم، والتي أثريتا الساحة اللغوية بخصائصهما وتميزهما، وبالحيز الكبير من البيئات اللغوية لهما.

٣- الاهتمام بكل ما سمع عن العرب وحكايته، وذلك من خلال تعدد اللغات في أكثر من استعمال، من ذلك قوله: "وقد حكى اللغتين يونس في نوادره"، وقوله: "وحكى هذه اللغات يونس في نوادره".

٤- تنوع الظواهر اللغوية في الكتاب، ونحاول الوقوف على بعض تلك الظواهر التي وردت في نوادره، ومنها على سبيل المثال:

---

(١) تاج العروس ١١/٣٨٠-٣٨١.

- **ظاهرة التثقيل والتخفيف**:

ففي الجانب الصوتي نراه يلقي الضوء على حركة الحرف من عدمها، في قوله: "عشرة" بتخفيفها عند أهل الحجاز، وتثقيلها عند أهل تميم بالكسر(١). وإن كان هذا نادر في لغتهم ذلك أن الحجازيين عادتهم التثقيل، وتميم عادتهم التخفيف لا التثقيل(٢)، فجرى في استعمالاتهم اللغوية للأساليب أن الحجازيين يميلون إلى التثقيل فيحققون الحركات ولا ريب عندهم من توالي المتحركات، أما بنو تميم فقد درج لديهم تسكين عين الاسم أو الفعل إذا كان على (فَعِل) فيقولون في فخِذ وكتِف بتسكين العين: فَخْذ وكَتْف، وقد بوّب لها ابن سيده في المخصص بباب ما يسكن استخفافًا وهو في الأصل عندهم متحرك، ومنها عضُد وكرُم تخفف على عضْد وكرْم(٣)، وإن كان من استعمال العرب أن ما كان على فَعِلَ وثانيه حرف حلقي ففيه أربع لغات مطردة: فَعِل، وفِعِل، وفَعْل، وفِعْل(٤).

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور عشْرة بسكون الشين. وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى ويحيى بن وثاب وابن أبي ليلى ويزيد: بكسر الشين. وهي لغة تميم، وكسرهم لها نادر في قياسهم؛ لأنهم يخففون فَعِلاً، يقولون في نَمِر: نَمْر"(٥).

---

(١) المزهر ٢/٢٧٥-٢٧٦.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/٢٣٠.
(٣) المخصص ٤/٣٣٥.
(٤) المخصص ١/٤٤٨.
(٥) البحر المحيط ٢/١١٦.

أما فتح الشين فهي لغة، قال عنها ابن عطيه أنها لغة ضعيفة، وقال المهدوي غير معروفة، بل نص النحويين على شذوذ فتح الشين[١].

- **ظاهرة تحقيق الهمزة وتسهيلها**:

وفي قضية الهمز نجد أنه يشير بالاستعمال لدى اللهجتين فأهل الحجاز يقولون: جُونة بلا همز، وتميم جُؤْنة بالهمز، فاختلفت اللهجتان في ذلك. وإذا ما أردنا فهم الهمز واستعمالها، فلا بد من معرفة ذات الهمزة حيث واستعمالها فهي حرف مجهور، وتأتي في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائد[٢]، هذا عند القدماء.

أما عند المحدثين فالهمزة: صوت شديد مهموس مرقق، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا تامًا، يمنع مرور الهواء، فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة، فينطلق الهواء متفجرًا[٣].

ولما كان هذا الصوت يتطلب جهدًا عضليًّا فقد شبهه علماء العربية بالتهوّع، يقول سيبويه، وهو يتحدث عن إبدال الهمزة واوًا أو ياءً: "واعلم أن الهمزة إنما فَعَلَ بها هذا (الإبدال) من لم يخففها؛ لأنه بَعُد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجًا، فثقل عليهم ذلك؛ لأنه كالتهوّع"[٤].

---

(١) البحر المحيط ١١٦/٢.

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٩/١.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب، ٥٦.

(٤) مشكلة الهمزة العربية لرمضان عبدالتواب، ٢٤. ونص سيبويه في الكتاب ٥٤٨/٣.

وعند نطق الهمزة جاء الخلاف بين القبائل العربية بين نبرها وتحقيقها كما هو منهج القبائل النجدية البدوية، وبين تسهيلها وعدم تحقيقها ونبرها وهو منهج القبائل الحجازية.

يقول أبو زيد: «أهل الحجاز، وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا يَنْبِرُون. وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر»(١).

ويرى الدارس – في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث – أن الهمز لغة مناسبة لأهل البادية؛ لأنهم يعيشون غالب وقتهم في فضاء مفتوح ومن المعروف أن هذا الفضاء يستهلك كمية كبيرة من الطاقة الصوتية، وقد أدرك أهل البادية هذا بفطرتهم، فألجأهم ذلك إلى استخدام السمات الصوتية، التي من شأنها ضمان وصول الكلمة واضحة المخارج والأصوات إلى السامع، ولا شك في أن الهمز من تلك السِّمَات(٢).

فمن هنا تباينت تلك الألفاظ والاستعمالات بين القطرين، وإن كانت لغة القرآن هي النبر، إلا أن الحجازيين كانوا ينبرون إذا اضطروا إلى ذلك، كما قال ذلك عيسى بن عمر: وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا"(٣)، وقال سيبويه: "وقد بلغنا أن قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيءٌ وبريئة، وذلك قليل رديء"(٤).

---

(١) لسان العرب ٢٢/١.
(٢) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، عبدالرازق القادوسي، ١١٤.
(٣) لسان العرب ٢٢/١.
(٤) الكتاب ٥٥٥/٣.

- **معالجة الأفعال**:

نجد الاختلاف البائن بين هاتين البيئتين في تعاملهما مع الأفعال سواء الماضي منها والمضارع، فإذا فتحت قريش عين الماضي كسرتها تميم غالبًا، والتغليب هنا يدل على عدم الاطراد في جميع تلك الأفعال، بل تجد ما يخالفها في استعمالاتهم، كما نجد قريش تضم عين المضارع، وفي نفس الوقت تفتحها تميم، ومما ورد عند يونس في نوادره كالتالي:

١- أهل الحجاز يقولون: زَهَدَ، وتميم تقول: زَهِدَ.

٢- أهل الحجاز يقولون: حَقَدَ يحْقِد، وتميم تقول: حَقِدَ يحْقَد.

كما ورد عكس ذلك في عين المضارع من أن الحجازيين يكسرونها في قوله: "يبطِش"، وتميم تضمها. وفي قوله: "عرِض" بالكسر عند الحجازيين والفتح عند تميم.

- **ظاهرة الإبدال والإعلال**:

ونجد ذلك ظاهرًا فيما ساقه من أمثلة عند الطرفين، فنجد الحجازيون يقولون: "قلنسية، والقير، والقنية، وهيهات" في حين نجد أن هذه الاستعمالات وردت عند تميم بإبدال بعض حروفها كما في "هيهات" حيث جاءت "أيهات" والهاء والهمزة مخرجهما واحد فسهل الإبدال بينهما، أما القير: فوردت عند تميم: القار، وذلك بفتح القاف فناسبها الألف، فجاء إعلالها من هذه الناحية، أما قولهم: "القِنْيَة" فهي من الفعل: قَنَيْتُ الغنم وغيرها قِنْيَةً، وعند تميم يقولون: قُنْوَة، من قَنِوْتُ الغنم[1]. وكذلك قول

(١) الصحاح ٦/٢٤٦٧.

الحجازيين: قلنْسية، يقابلها عند تميم: قلنسوة، فأعلت الياء بقلبها واوًا موافقة للضمة التي قبلها.

- **ظاهرة الحذف**:

وقد ورد من ذلك ألفاظ جاءت عند الحجازيين مثل: قولهم ينقد الدراهم، ويقابلها عند تميم قولهم: ينتقد، ومن الحذف قول الحجازيين ليلة ضحيانة، وهي عند تميم: إضحيانة، كما نجد عكس ذلك في قول تميم: مذ، بحذف النون، لكن الحجازيين ينطقونها بالنون: منذ.

- **التذكير والتأنيث**:

نلاحظ قول الحجازيين: ليستْ له همة إلا الباطل، بالتأنيث، وتميم تذكر الفعل، فتقول: ليس له همة إلا الباطل.

- **حكاية المسموع**:

من الظواهر المهمة والتي تكررت في نوادر يونس حكايته للغات المسموعة عن العرب، فنجد الاستعمال قد ورد بأكثر من صيغة، وتجد تلك الألفاظ واردة لديه، ومحكية جميعها، وهذا ما ذكرناها من شخصية يونس في اعتماده على المسموع،ب من ذلك حكايته اللغتين الواردتين في قولهم: الذِّكْر، والذُّكْر[١]، ومن ذلك حكايته ما ورد في وتد من لغات ثلاث، وهي: وَتِدٌ، ووَتَدٌ، ووَدٌ[٢]. وأيضًا ما حكاه في قولهم: الجُبُن، ثلاث لغات، بالتثقيل والتخفيف والتسكين[٣].

---

(١) تاج العروس ١١/٣٨٠-٣٨١.

(٢) تحفة المجد الصريح ٢٩٥.

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢/١٨٨.

الخاتمة

في نهاية المطاف يمكن القول إن تلك البدايات للدراسات اللغوية كانت بمثابة القاعدة التي قامت عليها تلك العلوم العربية بعد تقنينها وبلورتها لعلوم ذات معايير واضحة وقوانين مدروسة، وإعادة إلقاء الضوء على الأساس الأول يمثل إعادة نظر فيما يمكن أن الوقوف عليه من قيمة وأثر لذلك النهج القديم في تلك الدراسات، وعليه يمكن لنا أن نخلص إلى عدة نتائج من خلال الاستقراء البسيط الذي قمنا به تجاه ذلك النموذج الفريد من نوعه في ذلك الجانب من التأليف.

١- الضبابية الواضحة تجاه مصطلح النوادر، وأنه لا يمكن الجزم بأي تفسير، بل بمجموعة معايير قد تكون سمة لندرة اللفظ دون غيره.

٢- الاستقراء الناقص للبيئات اللغوية كان بمثابة تقنين للقوانين والتي تأثرت بما خرج عن ذلك الاستقراء.

٣- غياب المنهجية والموضوعية في تآليف كتب النوادر، وذلك طبيعي في بدايات آية تصنيف.

٤- القيمة اللغوية لكتاب يونس بن حبيب؛ لما اتسم به من شخصية فذة ذات معرفة واسعة اعتمدت السماع من العرب.

٥- تنوعت مادة هذه الكتب بين ذكر للهجات العربية، وبيان الفروقات بينها، لا سيما لهجتي تميم والحجاز.

٦- مما تسمت به مادة هذه الكتب الحكاية عن العرب بكل ما سمع، من خلال نقل الكثير من اللغات.

قائمة المصادر والمراجع

- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين ومجموعة، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي، تحقيق: عبدالملك الثبيتي، ١٩٩٧م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبدالمجيد، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م.
- شرح الفصيح، لابن هشام اللخمي، تحقيق: مهدي عبيد جاسم، دائرة الآثار والتراث بيغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن، ٢٠٠٩م.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، لأبي المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعري، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٨١م.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- مناهج البحث في اللغة والمعاجم، لعبدالغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- أبوزيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة، لإبراهيم يوسف السيد، جامعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- تصحيح الفصيح وشرحه، لابن درستويه، تحقيق: محمد بدوي المختون، ورمضان عبدالتواب، وزارة الأوقاف – القاهرة، ٢٠٠٤م.
-غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

- إسفار الفصيح، لأبي سهل محمد بن علي الهروي النحوي، تحقيق: أحمد سعيد قشاش، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- المدخل إلى مصادر اللغة العربية، لسعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
- النوادر في اللغة، لمحيي الدين توفيق إبراهيم، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٤، جامعة الموصل، ١٩٩٣م.
- مناهج التأليف عند العلماء العرب، لمصطفى الشكعة، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١م.
- ضحى الإسلام، لأحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- البحث اللغوي عند العرب، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب – بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.
- كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي، تحقيق: عزة حسن، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م.
- حركة التأليف عند العرب، لأمجد الطرابلسي، الجامعة السورية، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٥٦م.

- تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر- بيروت.
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجًا، لعبدالرازق حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان -مصر، ٢٠١٠م.
- مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، ، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث –القاهرة، الطبعة الثالثة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت، ١٩٦٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٢١٩
٢-	Abstract	٢٢٢٠
٣-	المقدمة	٢٢٢١
٤-	التمهيد: تاريخ التأليف اللغوي	٢٢٢٣
٥-	المبحث الأول: مفهوم النوادر	٢٢٣١
٦-	المبحث الثاني: يونس بن حبيب وكتابه النوادر	٢٢٣٥
٧-	المبحث الثالث: مادة كتاب النوادر ليونس بن حبيب	٢٢٣٨
٨-	الخاتمة.	٢٢٥٠
٩-	قائمة المصادر والمراجع	٢٢٥١
١٠-	فهرس الموضوعات	٢٢٥٦